صفحات فى الأدب الالمانى

كلوبشتوك KLOSPTOCK

بقلم الدكتور على مظهر

ولد فريدريش جوتليب كلوبشتوك فى أودِ لنبُورج فى الثانى من شهر يولية سنة ١٧٢٤ ، وتردد على مدرسة الأمراء ببفورتا من سنة ١٧٣٩ حتى ١٧٤٥ ، وهناك وعى ما بمؤلفات القدماء من أدب وحكمة ، وأراد أن يدرس اللاهوت بجامعة بينا ، ثم انتقل إلى ليبزج ، وهناك انضم إلى اتحاد شعراء سكسونيا ، وفى سنة ١٧٤٨ رحل إلى (لانجنفالزا) ليكون معلماً فى إحدى الأسر ، وبعد ذلك بعامين أرسل إليه « بودمر » يدعوه إلى زيورخ ، حيث أرسل فريدريش الخامس ملك الدانمارك (المتوفى سنة ١٧٦٦) فى طلبه للذهاب إلى كوبنهاجن ، وهناك كتب قصيدة « المسيح » ؛ وقد لبث بتلك العاصمة الجميلة من سنة ١٧٥٤ حتى سنة ١٧٧٠ . ولبعض الظروف السياسية أرسل إلى هامبورج وعين مستشاراً للقنصلية الدانمركية هناك ، ولبث بها حتى مات يوم ١٤ مايو سنة ١٨٠٣ ؛ ودفن فى فناء كنيسة إحدى القرى القريبة منها .

أما عن آثاره فنذكر منها أخطرها شأناً فى عالم الأدب ، ونعنى به قصيدة « المسيح » ، وهى من نوع قصص الأبطال الدينية ، كتبها فى عشرين أنشودة ؛ كانت الثلاث الأولى منها سبب ذيوع ذكره ، وقد نشرت فى سنة ١٧٤٩ ، ثم نشرت القصيدة بأكملها سنة ١٧٧٣ ؛ ولما كان فى مدرسة بفورتا ، رأى أن يشيد بذكر وطنه ، يقرض قصيدة من قصائد الملاحم البطلية الكبرى ، فاسترعى نظره ما أتاه الملك هانريش الأول من أعمال جليلة فى رأيه ؛ ثم إنه عدل عن ذلك ، ورأى أن تكون القصيدة دينية ، وأن ينظم الشعر فى ذكر « المسيح » وما آتاه لخير الانسانية وإنقاذها ؛ ويظهر أنه تأثر بقراءته (الجنة الضائعة) التى كتبها ملتون وترجمها بودمر عند ما أراد أن يكون القول الفصل على من ينظم ، وعلى من يقول الشعر ؛ وقد أراد الشاعر أن يأتى عند نظمها بأحسن ما استطاعته العقول الجبارة من بنى البشر ، ولذا تخير لنظمها ذكر عظيم كبير .

وترى الشاعر يصعد بك إلى السماء ، فيريك الأب والابن (حسبما يعتقد المسيحيون) والاثنان يتشاوران ، وترى الابن يبدى استعداده لأن يرسل لانقاذ البشر وخلاصه ، وتسمع

الأب يقسم أنه غافر ذنوب الناس إذا ما فعل ، فإذا ما انتهيت من قراءة الأنشودة الأولى ، هبط بك من العلى إلى جهنم السعير ، فيسمعك الشيطان ، و (ادرامالیش) وهما أميرا سقر يتآمران على «المسيح» ، على حين يريك «أبادونا» يخالفهما الرأى ، ويعترض عليهما ؛ ثم ترى الشاعر يأخذ بيدك إلى الأرض ، وإذا بك ترى « المسيح » على جبل الزيتون ، وتتعرف إلى يهوذا الخائن ، فإذا ما أطلعك على هذا فى الأنشودة الثالثة انتقل بك إلى الرابعة ، فيسمعك مداولة الأحبار والشيوخ فى سينهدرتوم ، حيث قرروا موت « المسيح » ، ويريك المائدة منصوبة ، ولا يزال ينتقل بك فى أناشيده ويصف بأق قصة « المسيح » حتى قصة معراجه ، وقد ختم بها أنشودتيه الأخيرتين .

والحق أن مشروعه كان مشروعاً عظيماً وكذلك كان رأيه كبيراً ، ولكنه لم يمكنه أن يتلافى الخلط فى قصيدته ، كما أنك تراه يحشر حديثاً طويلا حشراً ، أو يغرق فى الأوصاف ، ويجعل محادثاته وأغانيه متناهية فى الطول ، وقد أكسب القصة صبغة غنائية ، مع أنه أراد أن يجعلها ملحمة ، أى قصة أبطال مصبوغة بصبغة دينية ، وأحسن ما فيها من الأناشيد العشرة الأولى ، حيث نجد خصوبة الخيال وقوة التأثير ، ولن تجد فى النصف الثانى من القصة ذلك الحماس المتوقد ، كما تلحظه فى النصف الأول ، بل ترى الأناشيد الخمس الأخيرة لا قوام لها يعرف ، ولا عيبة توصف .

وتظهر قدرة كلوپشتوك فى النوع الغنائى من الشعر فى أناشيده ، وتراه يغير طائر المواد والموضوعات : الدين ، والحب ، والصداقة ، والوطن ، وتراه يذكر الدين فى كل واحدة منها ، ومن بين الأمراء والأبطال الذين شاء يذكرهم فى شعره ، تراه يذكر هنريش الأول ، ويوسف الثانى ، ولكنه لم يمدح فريدريش الأكبر ، لأنه لما كان يعنى بالآداب الألمانية ، ولما راجع بعض أناشيده الوطنية عمد إلى ما بدا فيها من ذكر لأساطير إغريقية ، فاستعاض عنها بالأساطير الجرمانية ، وفق وجهة نظر العلم المعروف إذ ذاك ، وإنك لترى الفرق الشاسع بين أناشيده التى نظمها فى مستهل شبابه ، وتلك التى قرضها وهو على أبواب الكهولة ، فبينما تلحظ فى الأولى الحماس المتوقد والخيلة المعقولة ، إذ يسود الثانية الظلام والصنعة الكلامية ، فتبعدها فاترة الهمة باردة الطبع ، عليها سمة التكلف . وقد ترك كلوپشتوك ست مآس ، تخير لها مادتها ، إما من الإنجيل ، أو من التاريخ الألمانى القديم ، فما الثلاث مآسى الأولى فهى : موت آدم ، سالومو ، داود ؛ والثلاث الأخر الوطنية هى : موقعة هرمان أعدادا ليوسف الثانى سنة ١٧٦٧ ؛ ثم هرمان والأمراء ، والثالثة موت هرمان ، وفيها قد رغب فى بث حب الوطن فى النفوس ، ولو أنه أتى فيها بما لا يعرفه التاريخ ، فأنت تسمع جماعة

[البقية على صفحة ٨٥٣]